Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :09, N :02 – 30 Novembre 2019

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 09، العدد 02 – 30 نوفمبر 2019

نحو ابستمولوجيا حوارية

Toward Dialogical Epistemology

داود خليفة *

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف/ الجزائر (daoudkhelifa@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2019/10/08 ؛ تاريخ القبول : 2019/11/24؛ تاريخ النشر : 30 /11/ 2019

الملخص

في ظل الدراسات الجزئية التي عرفتها العلوم بشكل عام، وعلوم الإنسان والاجتماع بشكل خاص، والتي كرستها منظومة التبسيط والاختزال، برزت الدعوة إلى فكر جديد يتجاوز التخصصات الضيقة ويضمن تبادلا مفاهيميا حرا بين التخصصات، ويسمح بانفتاح التخصصات العلمية بعضها مع بعض من فيزياء، رياضيات، بيولوجيا، علوم اللغة وعلوم السياسة وغيرها... الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى ضرورة قيام ابستيمولوجيا جديدة مختلفة عن الابستيمولوجيات الكلاسيكية تتقاطع فيها علوم الفيزياء، الأحياء، علوم الإنسان مثل علم الاجتماع وعلم النفس بتخصصاتهم المتنوعة وتتحاور معا، وليست هذه الابستيمولوجيا سوى الابستيمولوجيا الحوارية القائمة على التناهج والموسوعية.سنحاول في هذه المقالة أن نبيّن معالم الأساسية لهذه الابستيمولوجيا الحوارية، مع أخذ رؤية إدغار موران كنموذج للدراسة.

كلمات مفتاحية: الفلسفة المفتوحة، الحوارية، التناهج، المنهج، العلوم، الابستيمولوجيا، الموسوعية، الاختزال.

Abstract

Under partial studies of science in general, and human and social sciences in particular, which were enshrined the system of simplification and reduction, the call for a new thought that transcends narrow disciplines and ensures free conceptual exchange between disciplines and allows the opening of scientific disciplines with each other from physics, mathematics, biology, language sciences and political science and so on. This leads to the need for a new epistemology that is different from classical epistemologies, in which the sciences of physics, biology and human sciences, such as sociology and psychology, intersect with their diverse disciplines and dialogue. It´s dialogical epistemology Only, based on interdisciplinary and Encyclopedic. In this article, we will try to show the features essential to this dialogical epistemology, taking Edgar Morin's vision as a model for the study.

Keywords: Open philosophy, dialogic, interdisciplinary, method, sciences, epistemology, encyclopedias, reductionism, complexity....

* **الباحث المرسل:**

مقدمة:

بيّنت التطورات التي شهدتها العلوم المعاصرة، أن المعارف العلمية الجزئية لا يمكنها أن تعطي تصورا موحداً وكاملا عن الوجود والطبيعة والإنسان، بل ينبغي لتحقيق ذلك أن تتوحد العلوم وتتكامل فيما بينها. سعياً لذلك، ظهر خطاب ابستيمولوجي معاصر يدعو إلى براديغم جديد؛ براديغم حواري بين العلوم، وقد شكّل هذا البراديغم معالم ابستيمولوجيا جديدة، يمكن أن نسميها بـ"الابستيمولوجيا الحوارية (Épistémologie dialogique)، فماهي هذه الابستيمولوجيا الحوارية؟ وماهي مشروعية خطابها؟ وماهي النتائج التي يمكن ان تنتج عن هذه الابستيمولوجيا الحوارية الجديدة؟

1- ما الابستيمولوجيا الحوارية؟

الابستيمولوجيا الحوارية هي فلسفة علمية أو خطاب فلسفي حول العلم، تحاول بناء منظومة معرفية وفق منظور عقل علمي جديد منفتح، يأخذ في الحسبان الترابط والتكامل بين مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وهي بهذا المعنى **ابستيمولوجيا مفتوحة**، لا تسعى إلى الانفتاح على كافة المعارف العلمية بغية إيجاد تكامل بينها فحسب، بل إنها فوق ذلك لا تنغلق على المعارف غير العلمية، وهذه إحدى نقاط الاختلاف بينها وبين الابستيمولوجيا الباشلارية مثلا، التي ترى في المعارف غير العلمية عوائق ينبغي على الفكر العلمي الجديد تجاوزها. وهي من جهة أخرى لا تهتم كثيرا بالكشف عن الحقيقة، بقدر ما تسعى إلى الاهتمام بجوانب القصور في ميدان العلم.

والحقيقة، أن هذه الفلسفة المفتوحة نادي بها أولا العالم الرياضي السويسري **فيردننناد كونزرت** (1890 – 1976) ثم تبناها بعد ذلك **غاستون باشلار** (1884 – 1962 G. Bachelard)، وتأثر ببعض جوانبها أيضا عالم النفس السويسري **جان بياجيه** (1896 – 1980 Jean Piaget). أما **إدغار موران** (Edgar Morin - 1921) فقد طوّر هذه الابستيمولوجيا في إطار ما يسمى بـ"فلسفة التعقيد" أو "الفكر المركب" (Pensée_complexe).

هذه الابستيمولوجيا المفتوحة في نظر **إدغار موران** هي ما يمكن أن نطلق عليها "**نظرية المعرفة المفتوحة**" (Reparadigmatisation)، وأيضا ابستيمولوجيا التعقيد (Épistémologie de

complexité)، ويصفها بأنها «أكبر كفاءة من الابستيمولوجيا التقليدية...وتكون منفتحة على عدد من المشكلات المعرفية الكبرى التي إثارتها ابستيمولوجيا التعقيد الباشلارية وابستيمولوجيا **بياجيه** (بيولوجيا المعرفة، تداخل المنطق وعلم النفس)»[1]. وهي أيضا ابستيمولوجيا كلية لا تكتفي بالنظر إلى المعرفة من أعلى، بل تنخرط في كل مسعى معرفي يحدد مكانتها وإشكاليتها[2].

نستطيع القول إن الابستيمولوجيا المفتوحة هي نظرية علمية في المعرفة تستقي موضوعاتها ومسائلها من العلم ذاته، أي تعنى بالمعرفة العلمية أساسَاً، وتحاول أن تقدم حلولا عملية لقضايا المعرفة عامة، وهي من إنتاج العلماء أو الفلاسفة المتتبعين للتقدم العلمي، وهي بذلك تختلف عن نظرية المعرفة الكلاسيكية التي ينتجها الفلاسفة[3] .

تشكل الابستيمولوجيا المفتوحة ثورة كوبرنيكية في ميدان الابستيمولوجيا وفلسفة العلوم، حيث ستساعد على تشكيل تمفصل وتنظيم جديدان للمعرفة، من حيث هي تهتم بنتائج العلوم ومشاكلها المتعلقة بالمعرفة... [4].

يأخذ هذا المعنى تصورا جديدا للابستيمولوجيا؛ يأخذ في الحسبان بُعدها التنظيمي، من خلال إمكانية الارتقاء بالخطاب العلمي من مستوى النقد إلى مستوى البناء والتأسيس، أي الارتقاء من نقد المعرفة إلى الإسهام في تنظيمها. هذا الشكل من الابستيمولوجيا تجلى بشكل بارزٍ عند **إدغار موران** في مجاوزته للتصوُّر القديم حول الابستيمولوجيا من نقد مبادئ وفروض ونتائج المعرفة

من هنا، نستطيع القول إن ابستيمولوجيا الحوارية تنطوي على إعادة تنظيم وبناء مختلف المعارف، «معارف تستطيع استيعاب المشكلات الكلية والجوهرية عن طريق دمج المعارف

1-Edgar Morin, **La méthode: La Connaissance de la connaissance**, édition du Seuil, Paris, 1986, p27.

2-(Ibid), p24.

(3)- أنظر إلى: رافد قاسم هاشم الخالدي، **ابستيمولوجيا التفتح في الفلسفة**، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 25، العدد 4، كلية التربية للعلوم الإنسانية، بغداد، 2018، نسخة إلكترونية غير مرقمة.

(4)- أنظر إلى: إدغار موران، **المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة**، ترجمة: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2012، ص41.

الجزئية»[5]، ذلك أن المعرفة المجزأة إذا ما هيمنت فإنها تؤدي إلى العجز عن الربط بين الأجزاء والكليات، وعلى هذه المعرفة المجزأة أن تترك المجال لمعرفة تستطيع تمثل موضوعاتها داخل "المركب"[6]، يتحقق هذا البناء الجديد للمعرفة بالانفتاح العلوم بعضها على بعض، وبفضل تجاوز فكرة المنهج العلمي الواحد إلى التناهج بين العلوم، بقبول تداخل كل حلقات الفكر والمعارف والعبرمناهجية (Transdisciplinarité) حيث تنشأ الخططات المعرفية التي تتجاوز التخصصات الضيقة بفضل التناهج (Interdisciplinaire) بين تخصصات مختلفة تتقاطع فيها علوم الفيزياء والأحياء وعلوم الإنسان مثل علم الاجتماع وعلم النفس بتخصصاتهم المتنوعة، بالإضافة إلى ضرورة قيام علم تنظيم المعرفة في إطار ما يسمى بـ"الموسوعية" (Encyclopedie)، التي تعبر عن علاقة أفقية بين مختلف العلوم وتفتح حواراً بين العلوم الحقة والعلوم الإنسانية.

من شأن هذه الابستيمولوجيا الجديدة أن تساير تطورات المعرفة العلمية المعاصرة، من حيث هي تأخذ في الحسبان الترابط والتكامل بين مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تلك المعرفة التي تجزأت بين المفاهيم الاختزالية التي يكرسها كل اختصاص.

2- الابستيمولوجيا الحوارية في مواجهة ابستيمولوجيا الفصل والاختزال:

يقول إدغار موران واصفا الفكر العلمي الكلاسيكي الذي تسيّدت فيه منظومة التبسيط والفصل والاختزال: «إلى حدود منتصف القرن العشرين، كانت معظم العلوم تعمل وفق مبدأ الاختزال، اختزال معرفة الكل في معرفة الأجزاء [...] يؤدي مبدأ الاختزال إلى اختزال ما هو مركب في البسيط، بتطبيق المنطق الآلي والحتمي الخاص بالآلات الاصطناعية على المُركبات الحية والإنسانية، ويقوم مبدأ الاختزال على إقصاء كل ما لا يقبل التكميم والقياس، مانعا إنسانية الإنسان من أهواء وعواطف [...] فيسدّ الطريق أمام الابتكارات»[7].

5-(Edgar Morin, **Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation du futur** Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, (UNESCO), 1999, p4.

6 -(Réda Benkirane, **La complexité: vertiges et promesses**, Le Pommier, Paris, p21.

7- Edgar Morin, **Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation du futur**, op, cit, p19.

وبالفعل، فقد هيمنت الابستيمولوجيا الاختزالية – باعتبارها نموذجا إرشاديا – على الفكر الغربي بعد ما تمت صياغتها على يد ديكارت (R. Descartes 1596 – 1650) انطولوجيا ومعرفيا واجتماعيا وسياسيا؛ لما فصل بين "الذات المفكرة" و"الذات الممتدة"، ووضعه لمبدأ "الوضوح" كمعيار أوحد لتمييز أفكارنا الحقيقية، فحتّم عليه الفصل والتفكيك واختزال المعقد بالبسيط، والامتثال لهذا النموذج أدى إلى تجاهل التعقيد أو اعتباره مجرد وهم أو مظهر فحسب[8]. ومعلوم أن نموذج التبسيط والاختزال يوّحد ما هو منوع أو متعدد سواء فيما هو أولي أو فيما هو قابل للتكميم، قد سمح بتبلور فكر يسنده يمكن تسميته "الفكر الاختزالي" (Pensée reductionisme)، الذي يسند الواقع الحقيقي لا إلى الكليات ولكن إلى العناصر، ولا إلى النوعيات ولكن إلى المقاييس، ولا إلى الكائنات والموجودات، ولكن إلى ملفوظات الصورنة والرياضيات[9].

أدت هذه الابستيمولوجيا الاختزالية إلى ما يسميها **إدغار موران** بـ"**باطولوجيا المعرفة**" (La pathologie du savoir) «التي تجسدت في التبسيط الكبير الذي يحجب الإبصار عن رؤية تعقيد الواقع»[10]، تُعرف هذه الحالة المرضية للمعرفة الإنسانية بـ"**الذكاء الأعمى**" (l'intelligence aveugle)، الذي يفصل المجموع عن السياقات التي يندرج تحتها، فأصبح بذلك عاجزا عن تصور المجموع لأنه تجزيئي تبسيطي، ومن ثمّ فهو غير قادر على إدراك الحقيقة التي يتواصل فيها الكل عبر صيرورة معقدة ومتشابكة[11].

(8)– أنظر إلى: إدغار موران، **أزمة المعرفة: عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش**، ترجمة: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، العدد 1، السنة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، خريف 2015، ص59

(9)– محمد عفط، **التحولات العلمية والفكرية :الانفتاح والتركيب وتجليات النقد المتجدد**، مجلة فكر ونقد نسخة الكترونية العدد69 ، على الرابط: http://www.aljabriabed.net/n69_02afat.htm.

(10)-Edgar Morin **Introduction à la pensée complexe**, édition du Seuil, Paris, 2005, p23

(11)– أنظر إلى: زهير خويلدي، **تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران**، ضمن كتاب جماعي: **الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي، من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج**، ج2، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013، ، ص1408.

هذا الذكاء الأعمى غير قادر على تحقيق التواصل مع الواقع أو التعامل معه. حيث «يختار ما من شأنه أن يكون مهما بالنسبة للشخص العارف ويقصي كل ما هو غريب عن غاياته. يحتسب الثابت والمحدد والمؤكد ويتجنب غير اليقيني والملتبس. ينتج معرفة يمكن معالجتها بسهولة من أجل الفعل وبواسطته»[12]. يستند الذكاء الأعمى على منطق تبسيطي اختزالي عمل على توجيه العقل العلمي منذ عصر **غاليلو** و**ديكارت**؛ فمن المعلوم أن العلم الكلاسيكي تطابق بشكل شبه تام مع المنطق الكلاسيكي؛ حيث إن المبدأ الاختزالي الذي ساد العلم الكلاسيكي بعزل الوحدات الأولية الجوهرية يقابله مبدأ الهوية عند **أرسطو**، كما يتأسس ذلك العلم على الحتمية المطلقة، التي يقابلها الطابع الضروري للاستنتاج والطابع التعميمي للاستقراء، مما يعني أن المنطق التقليدي أسهم في تعزيز السمة الاختزالية والتبسيطية للعلم الكلاسيكي[13]، الأمر الذي سمح بتوحيد النظرة إلى العالم انطلاقا من هيكلة الواقع وظواهره في نماذج ميكانيكية تبسيطية معممة على كل الظواهر. وكانت نتيجة ذلك أن فَقَدَ العلم صرامته المعهودة وتحول الخطاب العلمي إلى خطاب صوري للواقع المدروس.

أصابت هذه الابستيمولوجيا الفكر الغربي بالعمى لتجاهلها ما هو مركب ومعقد، مما أدى إلى تمزيق النسيج المركب للواقع، فأصبحنا نعتقد جراء ذلك أن هذا الفصل الاعتباطي للواقع هو الواقع ذاته[14]. يؤكد **إدغار موران** الفكرة السابقة بقوله: «لا أحد يستطيع أن ينفي التطور الخلاّق الذي عرفته المعارف في إطار التخصصات وبفضلها، في ميادين مختلفة خلال القرن العشرين. وقد أسفر

(12)– إدغار موران، **المنهج: معرفة المعرفة: الأفكار**، ترجمة :يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، ب ط، الدار البيضاء، 2013، ص71.

13-Edgar Morin, **La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation**, édition du Seuil, Paris, 1991, p261.

(14)– إدغار موران، **الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب**، ترجمة :أحمد القصوار - منير الجوجي، دار توبقال للنشر، ط1 ، الدار البيضاء، 2004، ص15.

هذا التطور في المقابل على تراجع خطير على صعيد المعرفة، لأن التخصص يلغي السياق ولا يهتم بالشموليات والمُركبات. وهو ما أبرز عقبات كثيرة أعاقت ممارسة المعرفة المناسبة»[15].

إن أنموذج الاختزال – بوصفه أنموذج علمي – يهدف إلى تفسير الوقائع عن طريق عزلها عن بقية مجالات الواقع، وهو بذلك يؤدي إلى تفسير تعسفي لهذا الواقع كونه يلغي كل الأبعاد غير المركبة وغير القابلة للاختزال، فتبسيط الواقع المركب واختزاله أي تبسيطه في علاقات بسيطة يتم التعبير عنها رياضيا إنما هو – كما أشرنا سابقا – "**ذكاء أعمى**"، حيث إن «الصيغ المبسطة للمعرفة تشوه الوقائع أكثر مما تعبر عليها، ومن ثمّ فهي تنتج العمى أكثر من مساهمتها في التوضيح»[16]. وذلك لا يسمح لنا بالانفتاح على الأبعاد المركبة للواقع، فالمعارف الكلاسيكية غير كافية لاستنادها – من وحي ديكارتي – على منطق تبسيطي[17]، وبذلك يكشف هذا الأنموذج عن حدوده وغير ملائمته لطبيعة المعرفة المعاصرة، لأن الاختزال القائم على الفصل والتجزئة والصورنة من شأنه أن يفرغ الواقع من التنوع المتعدد لأشكاله الذي يكشف عن طابعه المركب، وهذا الطابع المركب للواقع غير قابل إطلاقا للتبسيط والاختزال. كما يعمل الاختزال على حجب الوقائع الشمولية والمركبة، فمثلا على المستوى الإنساني يعمل هذا النموذج على فصل الإنسان وتجزئة أبعاده بين مختلف ميادين المعرفة المتخصصة، فيتناول تخصص البيولوجيا البعد الحيوي بما في ذلك الدماغ، وتجزأت الأبعاد النفسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية بعضها عن بعض داخل حقول العلوم الإنسانية وأغلقت الفلسفة داخل نفسها مع أنها تفكير تأملي إنساني شمولي[18]. هذا التقسيم للمعرفة وتفتيتها أدى إلى انفصال رهيب بين العلوم الطبيعية وبين ما يسمى بالعلوم الإنسانية، والعلوم من وجهة نظرها تستثني الروح والثقافة من مباحثها مع أنهما هما اللذان ينتجان هذه العلوم نفسها.

15–Edgar Morin, **Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation du futur**, Op.Cit, p 18.

16––Edgar Morin, **Introduction à la pensée complexe**, op.cit, p10.

17-Edgar Morin & Jeans Louis le Moigne, **l'intelligence de la complexité** édition l'Harmattan, Paris, (édition numérique), 1999, p53.

18: أنظر –(Edgar Morin**, La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation,** op, cit, p18.

3- نحو براديغم حواري بين العلوم

كان من نتائج الثورة العلمية في أوربا في الفترة ما بين القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر أن شهد العلم تطورا مطردا في كل حقول المعرفة العلمية، التي تشعبت في فروع كثيرة وتخصصات لا تحصى، ولكن العلوم لا تتقدم إلا بعد تحطيم الحواجز بينها، لأن كسر هذه الحواجز هو ما يُمكّن كل علم من أن يستفيد من العلوم الأخرى في الوقت ذاته يفيدها هو كذلك. وبالتالي فقد جاءت الابستيمولوجيا المفتوحة لتقيم براديغما جديدا كرد فعل لأزمة تشظي المعرفة بين التخصصات المختلفة.

يمكن اعتبار هذه التخصصات المعرفية الضيقة ضربا من ضروب التجريد؛ وتحقق هذا التجريد عن طريق فصل الموضوع عن سياقه وشموليته، وفصل علاقاته وتفاعلاته مع محيطه داخل بناء معرفي مجرد يتعلق أساسا بمبحث مجزأ، يحطم بشكل اعتباطي نسقية علاقة جزء ما مع الكل، ينتهي في نهاية المطاف إلى تجريدات رياضية صورية تفصل الظواهر عن ما هو محسوس[19]. وعليه فان الرؤية الاختزالية رؤية عمياء تشتتُ المركب إلى أجزاء مفصولة عن بعضها البعض، تضفي الوَحَدة على ما هو متعدد في أبعاده، مما يستلزم بالضرورة إعادة النظر في هذا الفصل وهذه التجزئة وهذا الشتات المُلاحظ بين مختلف حقول المعرفة ومختلف أنواع الظواهر بوضع أنماط جديدة من التفكير، تحاول أن تجمع ما شتته العلوم الكلاسيكية.

من هنا، جاءت الابستيمولوجيا الحوارية لتفتح أبواب المشاركة بين العلماء وفي مختلف التخصصات، لأن التقسيم الكلاسيكي للمعرفة إلى فروع وتخصصات مستقلة إنما هو تحريفا لبنية المعرفة، والذي كان نتيجة للمبدأ الديكارتي القائم على الانفصال بين الذات والموضوع أو بين الفكر والمادة، والذي ترجم في ميدان العلم إلى التخصص، ثم إلى التخصص الدقيق في ميادين المعرفة. ولا شك أن هكذا تقسيم من شأنه أن يقف عائقا أمام التقدم العلمي ويمنع أي تكامل بين المعارف، «حيث

19-Edgar Morin**, La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation**, Op.Cit, p19.

إن الانفصال بين المعارف وانعزالها عن بعضها البعض راح يفضي إلى نشوء فراغات هائلة فيما بينها، وهو ما أدى إلى حجبنا عن إدراك عدد من الوقائع والمشاكل الأساسية والحيوية»[20].

إن الابستيمولوجيا الحوارية على العكس من ذلك تماما؛ إنها ابستيمولوجيا تستحضر التعقيد في قلب المنظومة المعرفية المعاصرة، وتفتح أبواب المشاركة بين تخصصات كثيرة من بيولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا وعلم الأعصاب والوراثة والتشريح وعلوم اللغة والاقتصاد، من شأن هكذا ابستيمولوجيا أن تعطي تصورا عاما يشمل كافة أبعاد الموضوع المدروس. إن الإنسان – مثلا – من حيث هو كائن مركب لا يمكن أن تدرسه البيولوجيا وحدها ولا الفيزياء وحدها ولا علم النفس وحده ولا علم الاجتماع وحده، لأن كل علم يدرسه دراسة جزئية تبسيطية، فتتناول البيولوجيا البعد البيولوجي فيه، وتكتفي الفيزياء بجانبه الطبيعي المادي، ولا يتجاوز علم النفس حدود الجوانب النفسية، وهكذا الأمر بالنسبة لكافة العلوم. لكن للإنسان أبعاد كثيرة ومتعددة: طبيعية وبيولوجية ونفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية... ما لا يستطيع أي علم بمفرده أن يتناولها، إزاء ذلك نحن بحاجة إلى "**فكر مركب**" الذي هو جزء لا يتجزأ من نموذج التعقيد، على اعتبار أن الفكر المركب هو مجموع العلوم: الفيزياء، البيولوجيا، الكيمياء، وعلم الاجتماع والآداب التي ينبغي أن تتوحد معا في ابستيمولوجيا واحدة هي ابستيمولوجيا التعقيد. وهذه العلوم الموحدة تختلف عن النموذج المعرفي في فكر الحداثة الأوربية الذي قام على البساطة الديكارتية والاختزال والانفصال بين المعارف. يقول **إدغار موران:** «لقد طورت كل أبحاثي في اتجاه معاكس للتجزئة وتقطيع المعرفة، مدافعا من أجل إمكانية إعادة تجميع المعرفة، وذلك في الربط بين العلوم الفيز– رياضية والعلوم الإنسانية، والعمل على إدماج الإنسان كموضوع للمعرفة وكعضو في نظام الطبيعة والكون»[21].

20)– إدغار موران، **أزمة المعرفة :عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش**، مرجع سابق، ص53 .

(21)– إدغار موران، **حوار لمجلة علوم إنسانية الفرنسية**، ترجمة: عمر بيشو، مجلة فكر ونقد (الكترونية)، على الرابط: http://www.aljabriabed.net/n89_09bichou.htm

لو بقينا مع مفهوم الإنسان على سبيل المثال، فإننا نجد التصورات الكلاسيكية التي تستند على الدراسات المتخصصة قد ساهمت في تجزئة جوانبه الثقافية والبيولوجية وحتى الحيوانية، ويضرب **إدغار موران** مثالا عن ذلك الدماغ والذهن، فالأول موضوعا لعلم البيولوجيا والثاني يتم تناوله من خلال علم النفس، وكون الدماغ والذهن لا يقبلان الفصل بينهما، فإن للإنسان إذن جانبه البيولوجي والنفسي، ومن الضروري الأخذ بالهوية المزدوجة في الاعتبار. ويدرس الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ جانبَنا الثقافي، وهي فروع معرفية ينبغي الربط بينها. أما الفنون والأدب، فإنهما يسمحان بالاقتراب من ذاتية الكائن وحياته اليومية وآلامه؛ وذلك مالا تظهره العلوم. يقول **إدغار موران** عن هذه التجزئة والتخصص: «في الوضع الحالي لا تستطيع المعرفة أن تفكر في ذاتها للأسباب التالية:

- الدماغ الذي ننطلق منه يُدرس في أقسام العلوم العصبية.
- العقل الذي يكوّنها يدرس في أقسام علم النفس.
- الثقافة المرتبطة بها تدرس في أقسام علم الاجتماع
- المنطق الذي يتحكم بها يدرس في أحد أقسام الفلسفة.

وهذه الأقسام لا تتواصل فيما بينها من الناحية المؤسساتية»[22].

ليس هذا فحسب، إن وضع الحواجز بين التخصصات العلمية قد أحدث تفككا كبيرا على أصعدة عدة: فقد فرّقت الفيزياء بين المعلومة والحوسبة والذكاء الاصطناعي. وفرّقت البيولوجيا بين الجهاز العصبي والدماغ وتطوره. أما علوم الإنسان فقد فصلت وفرّقت بين الألسنية وعلم النفس المعرفي والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والتاريخ، وفرّق كل من العلم والفلسفة بين المنطق والابستيمولوجيا... وفي الوقت الذي كان ينبغي على هذه التخصصات أن تتواصل فيما بينها، فإننا نراها على العكس من ذلك تماما تتباعد وتتنابذ[23]. إن الانفصال بين العلم والفلسفة –

(22)– إدغار موران، **المنهج / الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها**، ترجمة :جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، بيروت، 2012، ص105.

(23)– إدغار موران، **المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة**، مرجع سابق، ص 24.

مثلا – قد أدى في نظر **إدغار موران** إلى جعل تصوراتنا حول العقل والدماغ محكومة إما بالتفكك أو الاختزال (اختزال العقل على أنه الدماغ)، حيث إن التفكك الذي ساد الثقافة الغربية منذ القرن السابع عشر قد وضع العقل في مملكة العلم وأخضعه بصورة صارمة للقوانين الآلية والحتمية للمادة، في حين أن العقل يعيش في اللامادية والإبداع والحرية في مملكة الفلسفة والإنسانيات. والحقيقة أن كلا المفهومين مهيمنا ومُختزلاً: اختزال كل ما هو روحاني إلى المادة، أو اختزال كل ما هو مادي واعتباره منتَجا للعقل[24]. هذا ما يستلزم تطوير المناهج المعرفية تختص بعلوم التعقيد بهدف تنظيم المعرفة لا هيكلتها. وكذلك الحاجة إلى إصلاح المعرفة على أساس التواصل بين العلوم والتخصصات التي تمّ الفصل بينها تقليديا. تلكم هي الأسباب التي دعت وتدعو بإلحاح إلى ضرورة التفكير في التعقيد.

خاتمة:

وهكذا تدعو الابستيمولوجيا الحوارية أو ابستيمولوجيا التعقيد إلى ضرورة التكامل المعرفي بين العلوم، أي فكر مركب، منفتح على مختلف الأبعاد، فكر قائم على "الحوارية" تستوعب التناقضات في تصارعها وتكاملها. أي تطبيق الفكر المركب والتعقيد كوسيلة وكأسلوب وكمنهج للتعامل مع الظواهر والموضوعات. إن الابستيمولوجيا الحوارية، ابستيمولوجيا مفتوحة تستطيع معالجة التشابكات والمفارقات وتعدد الأبعاد، لاستنادها على فكر علمي تفاعلي حواري هولوغرامي[*]، مما يُمّكنها ذلك من إقامة تواصلا ضروريا بين مختلف الحقول المعرفية..

(24)– أنظر إلى: Edgar Morin, **La méthode: La Connaissance de la connaissance,** Op.Cit, p70 – 71.

(*)–**"الهولوغرامية"** أو ما يسمى مبدأ **"الاحتواء المتبادل"** ويعني مماثلة الجزء للكل، ويستخدم هذا المبدأ لتوصيف ظاهرة تخزين صورة ثلاثية الأبعاد، ويمكن ترجمة هذا المصطلح بكلمة مجسم / تجسيم، وهو مصطلح مأخوذ من التصوير الفوتوغرافي الثلاثي الأبعاد.

بيبلوغرافيا

1- باللغة الأجنبية

1. Edgar Morin & Jeans Louis le Moigne, **l'intelligence de la complexité** édition l'Harmattan, Paris, (édition numérique), 1999.
2. Edgar Morin, **Introduction à la pensée complexe**, édition du Seuil, Paris, 2005.
3. Edgar Morin, **La méthode: La Connaissance de la connaissance**, édition du Seuil, Paris, 1986.
4. Edgar Morin, **La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation**, édition du Seuil, Paris, 1991.
5. Edgar Morin, **Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation du futur** Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, (UNESCO), 1999.
6. Réda Benkirane, **La complexité: vertiges et promesses**, Le Pommier, Paris.
7.

2- باللغة العربية:

1. إدغار موران، **الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب**، ترجمة: أحمد القصوار – منير الجوجي، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 2004.
2. إدغار موران، **المنهج: معرفة المعرفة: الأفكار**، ترجمة: يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، ب ط، الدار البيضاء، 2013.
3. إدغار موران، **المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة**، ترجمة: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2012.
4. إدغار موران، **المنهج / الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها**، ترجمة :جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، بيروت، 2012
5. زهير خويلدي، **تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران**، ضمن كتاب جماعي: **الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي، من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج**، ج2، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013،

3- المجلات:

1. إدغار موران، **أزمة المعرفة: عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش**، ترجمة: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، العدد 1، السنة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، خريف 2015.
2. إدغار موران، **حوار لمجلة علوم إنسانية الفرنسية**، ترجمة: عمر بيشو، مجلة فكر ونقد (الكترونية)، على الرابط: http://www.aljabriabed.net/n89_09bichou.htm
3. أسماء بن قادة، **الجهل المقدس قنبلة مدمرة للدين والإنسان والرسالة**، الراية القطرية، 10 أكتوبر 2010. على الرابط: http://www.gulfinthemedia.com
4. رافد قاسم هاشم الخالدي، **ابستيمولوجيا التفتح في الفلسفة**، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 25، العدد 4، كلية التربية للعلوم الإنسانية، بغداد، 2018، نسخة إلكترونية غير مرقمة.
5. سعيدي عبد الفتاح، **البعد الاجتماعي لنظرية الكاوس**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، عدد18، 2015.
6. محمد عفط، **التحولات العلمية والفكرية :الانفتاح والتركيب وتجليات النقد المتجدد**، مجلة فكر ونقد نسخة الكترونية العدد69، على الرابط:
http://www.aljabriabed.net/n69_02afat.ht